العمران والعمارة بمدينة ألتافا في الفترة القديمة

Urbanization and architecture in the city of Altava during antiquity

عبير بوترعة *

جامعة ابوبكر بلقايد، تلمسان

مخبر التراث الأثري وتثمينه

abir.boutera@univ-tlemcen.dz

سليم دريسي

معهد الآثار، جامعة الجزائر 2

مخبر البناء الحضاري للمغرب الاوسط الجزائر

salim.drici@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2025/02/26 تاريخ القبول 2025/05/12 تاريخ النشر 2025/06/03

ملخص:

منذ أولى بوادر الاستقرار البشري، ارتبط الإنسان ارتباطا وثيقا بالأرض وجغرافيتها، وتجلى هذا الارتباط من خلال اختياره لتمركز مدنه، وطرق بنائها وتنظيمها العمراني. ولقد عرف المغرب القديم نهضة في عمران المدن خاصة في الفترة الرومانية أين خضعت هذه الأخيرة الى مبادئ خاصة وتنظيمات محكمة شكلت لنا نسيجا عمرانيا مميزا، وتعد مدينة ألتافا من أهم مدن موريطانيا القيصرية التي تزخر بتاريخ غني وفريد في آن واحد، حيث ان هذه المدينة لم تكن على غرار مثيلاتها من المدن الرومانية بل كانت لها بصمتها الخاصة في التاريخ والعمران، الأمر الذي جعلنا نختار هذا الموضوع بغرض تسليط الضوء على هذه المدينة، عمرانها وعمارتها.

* المؤلف المراسل

الكلمات المفتاحية: مدينة ألتافا؛ العمارة؛ العمران؛ المغرب القديم؛ موريطانيا القيصرية.

Abstract:

Since the first signs of human settlements, man has been linked to the land and its geography, this connection was manifested through his choice to locate cities, the methods of building them, and their urban organization. And the ancient Maghreb has known a revolution in urbanization, especially in the Roman period, where cities were subjected to special principles and tight regulations that formed a distinctive urban fabric. The city of Altava is one of the most important cities in Caesarean Mauritania, and it is known for its rich and unique history, as it was not similar to its Roman counterparts, but rather had its own mark in history and urbanization, which made us choose this topic in order to shed light on this city, its urbanization, and architecture.

key words*:* The city of Altava; Architecture; Urbanization; Ancient Maghreb; Caesarean Mauritania.

مقدّمة:

عرفت مدينة ألتافا استمرارية على مر العديد من القرون، إذ أن الشواهد الأثرية ترجع تأريخ المدينة إلى القرن الثاني ميلادي، إلا انه يرجح إنشاء المدينة كمركز عسكري على خط الليمس إلى بداية القرن الثالث ميلادي في فترة الحكم السيفيري، و في القرن نفسه تم ذكر كلمة *ordo* في نقيشة للمدينة مم أدى إلى وضع فرضيات تنص على أن المدينة تخلت عن صبغتها العسكرية و اكتسبت صفة بلدية رومانية *municipium*، نجد في القرون الموالية ان المدينة اكتسبت استقلالية كبيرة عن سلطة روما مشكلة بذلك ما عرف بمملكة التافا سنة 508م، كل هذه التغيرات التي طرأت على مدينة ألتافا جعلتنا نطرح الإشكالية التالية: ما هو التنظيم الإداري والتخطيط العمراني الذي عرفته مدينة ألتافا؟ وما هي أهم المعالم التي أنشأت بها عبر مختلف الفترات القديمة منذ التأسيس والنشأة الى غاية الاندثار؟

وبغرض الإجابة عن هذه الاشكالية عمدنا إلى تحليل معطيات النقيشات اللاتينية المكتشفة بالمدينة والتي تمثل أهم مصادر هذه الدراسة، إضافة إلى أرشيف

الحفريات التي تمت بالموقع وذلك في محاولة منا للإلمام بجميع جوانب الدراسة، اعتمادا على المنهج الوصفي التحليلي، كما ارتأينا طرح الفرضيات التالية:

- مدينة ألتافا تمتعت بنسيج عمراني فريد من نوعه.
- اختلف مخطط المدينة باختلاف الحقب وعرفت عدة تنظيمات إدارية.
- عرفت المدينة العديد من المنشآت الهامة على اختلاف وظائفها.

نبذة عن مدينة ألتافا:

تقع مدينة ألتافا على بعد 30 كلم شرق مدينة تلمسان *(Pomaria)*، ويحاذيها واد يسر(*Isaris*) [1]، عرفت المدينة ب"حجار الروم" أي الحجارة الرومانية لأنه كان به العديد من الحجارة المكتوبة باللغة اللاتينية[2]، تتربع التافا (أولاد ميمون) على مساحة حوالي 16 هكتار، و هي على الطريق الحديث الرابط بين مدينة سيدي بلعباس و تلمسان، و هو طريق يطابق الطريق الروماني القديم الذي كان يصل بين المراكز العسكرية الواقعة على الخط الدفاعي الثاني[3].

المبحث الأول

عمران المدينة

عرفت مدينة ألتافا نسيجا عمرانيا كغيرها من المدن بالمغرب القديم اختلف وتطور حسب الفترات التاريخية وارتبط بالحكام والمعتقدات والنشاط الثقافي والاقتصادي بالمدينة. المستكشفين الأوائل للموقع استطاعوا تمييز مدينتين، الأولى عسكرية مستطيلة الشكل ذات الأبعاد 370م × 317م حسب ***MacCarthy***، و380م × 270م حسب ***Tugny***؛ المدينة الثانية غير منتظمة الشكل تطورت بين السور الشمالي والحدود الشمالية للهضبة، وأبعادها حسب الباحث ***Jean-Marcillet Jaubert*** 430م × 330م[4]، اي ما يعادل 12 هكتار[5].

تظهر الصور الجوية بعض الآثار والسور المحيط ببعض أنقاض مدينة ألتافا مما يمكن رسم تخطيط تقريبي للشكل الذي كان عليه السور[6]، فتنتشر آثار مباني خارج السور في الجهة الشمالية، كما توجد مقابر المدينة خارج الأسوار، كما تظهر بقايا سد كان قائما على واد يسر بجنوبي المدينة لتموينها بالمياه[7].

قام كورتو بالكشف عن الكاردو الذي يُعتقد أنه الحد الأقصى لمحور يبلغ حوالي 160 مترًا من الجدار شرقا، و 17 م من السور الغربي للمدينة القديمة. وهذا المحور يميل قليلاً نحو الشمال الغربي ويبلغ طوله 130 مترًا[8]، مما يشير إلى تنظيم مكاني حضري، ووفقا ل *J. Lethielleux*، كانت الساحة العمومية تحت منشآت السكك الحديدية ومباني المحطة وهذا دليل على الحياة المدنية في تخطيط المدينة[9]، وتشهد النقوش العديدة المكتشفة في هذا الموقع على وجود عدد كبير من السكان. حيث تصف هذه النقوش الحياة المدنية التي تكشف عن الهياكل المعمارية الإدارية. علاوة على ذلك، فإن التكريم المقدم للأباطرة يفترض وجود مكان عام، وهو دليل قاطع على التخطيط العمراني الحضري، مما يجعل ألتافا مدينة ذات مخطط عمراني غني لدرجة أنها كانت محمية في البداية بالأسوار، في 349-350، قبل أن تصبح قلعة سنة 508[10].

المبحث الثاني

عمارة المدينة

لا يمكننا اليوم دراسة عمارة مدينة ألتافا الا من خلال المخلفات وهذا يرجع الى الاندثار التام للموقع وعليه سنتطرق اليها من خلال نصوص النقيشات اللاتينية وكذا أرشيف حفريات.

1- العمارة الدينية:

أ-معبد الإمبراطور *Elagabal*:

كرست هذه النقيشة للإمبراطور *Elagabal* الذي اقترنت عبادته بإله الشمس، ويذكر فيها انشاء معبد للإمبراطور سنة 221 م.

*Pro salute domini n(ostri) / Imp(eratoris) Caes(aris) M(arci) / Aureli [[Antonini]] Pii / Felicis Augusti deo Soli [[Elagabali]] / possessores Altavenses ex sua collati/one **templum** fec(erunt) procurante / Iulio Cestillo proc(uratore) Aug(usti) prov(inciae) / CLXXXII*[11].

ب-معبد الإلهة المقدسة:

اكتشفت النقيشة عند انشاء محطة القطار، وهي تذكر انشاء معبد للإلهة المقدسة ونظرا لكون النقيشة مهشمة من جهة اليسار فلم نستطع معرفة اسم الإلهة المعبودة، لكن يرجح انها الإلهة *Diana* أو الإلهة *Nemesis* وذلك لوجود نقائش بالمدينة تذكر عبادة الإلهتين[12].

*de]ae(?) Sanctae / [**templum** corruptum(?) 3 lo]ngo tempore / [restituit(?) 3] / [3 proc(urator) Aug(usti)] n(ostri) instante / [3 Alta]venses perfecerunt / [a(nno) p(rovinciae?)*[13].

ج-المذابح:

تم العثور بمدينة التافا على العديد من المذابح المخصصة لآلهة مختلفة والتي قد تكون مؤشرا لوجود معابد لهذه الآلهة ولقد تمثلت في:

-**مذبحان للآلهة المورية** الأول يؤرخ ما بين 227 و237م[14].

Dis Mauris / Salutaribus / Aurelius E/xoratus dec(urio) / alae Part(h)orum / praepositus / c(o)hortis / Sardorum Se/verianae[15].

-الثاني اكتشف على بعد 100م غرب ضيعة كورتو وعلى بعد 300م شمال السور[16].

Di{i}s Prosperis / Mauris Saluta/ribus C(aius) Fan/nius Iunianus / a militiis praef(ectus) / cohortis Sardo/rum v(otum) s(olvit) l(ibens) a(nimo)[17].

- **مذبح الإلهة ديسيبلينا:** تم اكتشافه في وسط الآثار، وهو يعود على الأرجح الى الفترة السيفيرية[18].

Dis/cipli/nae / mili/tari[19].

-**مذبح الالهة ديانا** والذي اكتشف في واد خلفون بالقرب من معلم صغير اندثر الآن[20].

Dianae deae / Nemorum Comiti / Victrici ferarum / annua vota dedi / Fannius Iuni/anus praefectus / cohortis II / Sardorum[21].

-**مذبح للآلهة ماناس:** اكتشف شرق هضبة حجار الروم على يمين واد شعبة الحجاج، يؤرخ بسنة 334م[22].

D(is) M(anibus) s(acrum) / M(arcus) Caecili/us Donat/us vixit an(nos) LV m(enses) VII Aur/elia Boroc / marito li/bens ani/mo posuit / a(nno) p(rovinciae) CCLXXXXV[23].

د-كنيسة (بازيليكا):

تم العثور على هذه النقيشة بالمقبرة الشمالية الشرقية على بعد 300م من الآثار[24]، ونجد ذكر عبارة *Basilica dominica* وهي من أولى الأمثلة التي استعملت فيها هذه العبارة للدلالة على العبادة المسيحية[25]، تؤرخ هذه النقيشة ببداية القرن الرابع، سنة 309م.

*]DOM / [// **Me(n)sa** Ian/uari mar/t<y=U>ris p[i]/e zeses //[Confe]ssione sancti et **basilica dominica** / [et] memoria bb(eatorum) vv(irorum) L(uci) Honorati L() P() Ta[n]/[n]oni Victoris <di=Z>(aconi) et Tannoni Ru[fini]/ani L() P() fecit L(ucius) Tannonius Rog[atus] / [3]S IIII ab Honorato a(nno) p(rovinciae) CCLXX[26].*

2-العمارة الجنائزية:

أ-قبر وطاولة جنائزية (معلم لشهيد):

في نفس النقيشة المذكورة أعلاه نجد ذكر أول شهيد للديانة المسيحية بالمدينة الذي أقيمت له طاولة جنائزية *Mensa* وقبر قديس *Confessio* [27].

ب-ضريح:

تم اكتشاف النقيشة هذه في ظروف غير معلومة ثم اندثرت بعدها، كما اختلف الباحثون حول مقاساتها، فيها نص يتكون من 5 أسطر مهشمة من الجهة اليسرى، من المستحيل تأريخ المعلم هذا بالرغم من أن شكل الكتابة يوحي بأنها تعود إلى القرن السادس ميلادي[28].

] Tertullus ***m<au=O>sole/[um*** *3 in]stituit aere suo et / [ob peccatorum suorum et] patris et matris sor/[oris et uxoris 3 fili]orum et nepotis red/[emptionem et] demissionem fecit*[29].

وترى الباحثة فريدة عمروس ان الطابق العلوي لبعض الأضرحة كان بمثابة معبد صغير أين تجري وتقام شعائر جنائزية[30]، مما قد يجعل منه معلم جنائزي وديني في نفس الوقت.

كما نجد بمدينة ألتافا العديد من المعالم الجنائزية على غرار الأنصاب وهي الأكثر انتشارا، بعدها تأتي الصناديق الجنائزية ثم الأعمدة، ولا نجد سوى مذبح جنائزي واحد والذي تم ذكره في الأعلى، إضافة الى مقبرتين[31].

3- العمارة العسكرية:

أ-جدار وباب وابراج:

هي نقيشة تعود لمنتصف القرن الرابع ميلادي، كرست للإمبراطورين Constance و Constance II وتذكر انشاء أسوار، باب جديد وأبراج تحية للإمبراطورين، وتؤرخ النقيشة ب 349 م.

Pro sal[ute atq(ue)] incolumi/tate dd(ominorum) nn(ostrorum) Impp(eratorum) Co(n)stanti et / Co(n)stans Augg(ustorum) ***muru(m)*** *et* ***porta(m)*** *nova(m) / et* ***turres*** *a solo Statulenius Felix / disp(unctor) una cum primores ded[i]/cavit (!) p(rovinciae) CCCX*[32].

ب–قلعة:

من أهم النقيشات المكتشفة بمدينة ألتافا التي تناولتها العديد من الدراسات هي نقيشة الملك مازونا والتي تؤرخ بسنة 508 م، ويذكر فيها انشاء قلعة *Castrum* التي شيدت من طرف مجموعة من الحكام لثلاث مدن هي:

مدينة *Altava*، *Castra Severiana* ومدينة *Safar*، تحت امرة الملك مازونا ملك المور والروم حسب ما تم ذكره في النقيشة.

Pro sal(ute) et incol(umitate) reg(is) Masunae gent(ium) / Maur(orum) et Romanor(um) ***castrum*** *(a)edific(atum) a Mas/givini pr(a)ef(ecto) de Safar Iider proc(uratore) Cast/ra Severian(a) quem Masuna Altava posuit / et Maxim(us) proc(urator) Alt(avae) perfec(it) p(rovinciae) CCCCLXVIIII*[33].

4– العمارة المدنية:

لم نجد في النقيشات اللاتينية المكتشفة أي ذكر للعمارة المدنية وعليها اعتمدنا في هذا الشق على ما تم الكشف عنه خلال حفريات القرن الماضي، والذي تمثل في المعالم التالية:

-بعض المنازل المحيطة بالكاردو ومنزل مبلط بفسيفساء سوداء وبيضاء، حفرية جويلية 1953.

-مخازن أو مطامير اكتشفت بها العديد من الجرار الكبيرة *dolia* في حفرية ديسمبر 1953.

حسب الباحث *J. Lethielleux*، توجد مباني من بينها المحلات التجارية والدكاكين بما في ذلك ثلاث معاصر زيت. الأولى، محفوظة جيدًا، كانت مجاورة لأحدى

المنازل، والثانية تم العثور عليها في الكاردو مكسيموس، وأخيرًا الثالثة شمال الكاردو مكسيموس على شارع جانبي بعرض 5.20 مترًا[34].

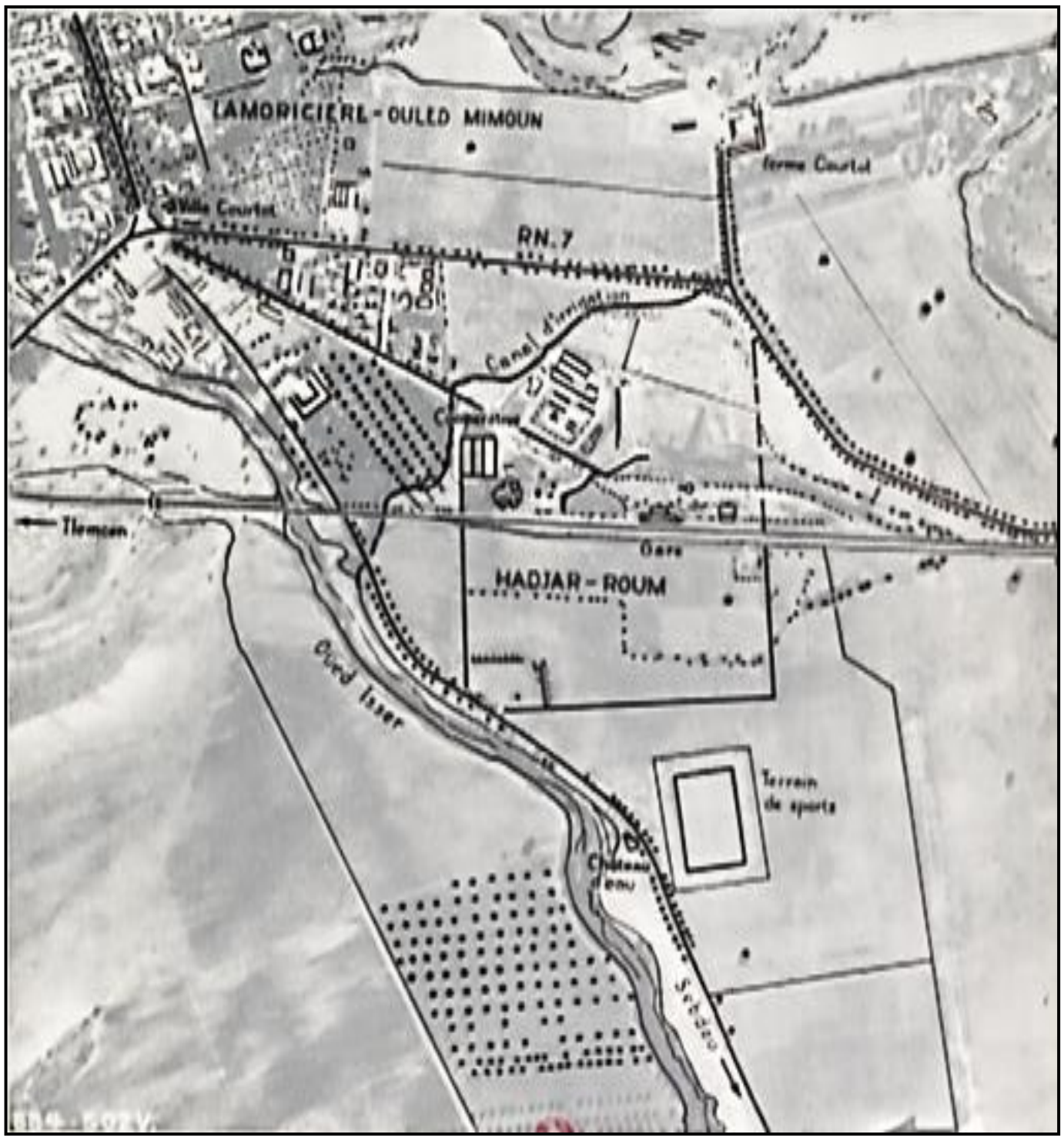
اضافة إلى هذه البقايا، يكشف لنا عن قواعد وجذوع أعمدة، وتبليط من الفسيفساء، وقطع تماثيل، بعضها محفوظ في متحف وهران، والبعض الآخر اختفى[35].

الخاتمة:

كخلاصة لما تطرقنا له سابقا، نجد أن مدينة التافا تبقى تطرح العديد من الإشكاليات وذلك يرجع إلى الحفريات الجزئية الشحيحة التي أقيمت بها واندثار الموقع حاليا والتي تحرم الباحث من الوصول إلى تصور شامل للمدينة، كما أن التعاقب الزمني عليها جعل دراستها أكثر تعقيدا، لكن وبالرغم من ذلك استطعنا إلى حد ما معرفة النسيج العمراني لهذه المدينة من خلال تحليل المعطيات التي تناولناها في بحثنا، والذي بدوره عرف العديد من أنماط العمارة من الدينية المتمثلة في المعابد، المذابح و البازيليكا المسيحية، الى الجنائزية التي كانت السائدة بالمدينة اذ تنوع معالمها و ابرزها الضريح، إضافة الى العمارة العسكرية التي تمثلت في التحصينات التي عرفتها المدينة خلال القرنين الرابع و السادس ميلاديين، كما وجدنا ان المدينة بالرغم من نشأتها كمعسكر على خط الليمس السيفيري الا انها عرفت تطورا عمرانيا كبيرا وهذا ما كشفت عنه الحفريات التي اجراها الباحثان الفرنسيان *Courtot* و*Pouthier*، حيث استطعنا معرفة الى حد ما التخطيط العام للمدينة من خلال تحديد الشارع الرئيسي الكاردو ماكسيموس وكذا الساحة العامة إضافة الى المنازل المطلة على الكاردو و الدكاكين التي شهدت على نشاط اقتصادي كبير يثبت أهمية ومكانة المدينة.

الملاحق:

الشكل رقم 01: مخطط المدينة



المصدر: Jean Marcillet-Jaubert, Les inscriptions d'Altava, p 11



الشكل رقم 02: صورة الكاردو ماكسيموس مارس 1953 .

المصدر: أرشيف مكتبة حصن 23.



الشكل رقم 03: منزل الفسيفساء، حفريات ألتافا جويلية 1953.

المصدر: أرشيف مكتبة حصن 23.



الشكل رقم 04: مخازن او دكاكين ديسمبر 1953.

المصدر: أرشيف مكتبة حصن 23.



الشكل رقم 05: معصرة زيت، اكتشفت في 12 ماي 1952.

المصدر: أرشيف مكتبة حصن 23.

قائمة المصادر والمراجع:

1- المصادر والمراجع باللّغة العربية:

أ- الكتب:

- محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1999.

ب- الدّوريات (المجلات العلمية):

- فريدة عمروس، "عمارة الأضرحة الرومانية بالجزائر"، مجلة آثار، العدد 09، الرقم 01، ديسمبر 2011، ص 31.

2- المصادر والمراجع باللّغة الأجنبية:

A- Livres:

- Jean Marcillet-Jaubert, **Les inscriptions d'Altava**, Publications des annales de la faculté des lettres, Aix-en-Provence, 1968.

B- Périodiques (revues scientifiques) :

- Paul courtot, « Alava », **Encyclopédie berbère**, 1986.
- Paul Courtot, Une nécropole romaine d'Altava, **B.S.G.A.O**, 1934, pp. 351-359/ 1936, pp 8-12.
-Touatia Amraoui, L'artisanat dans les cités antiques de l'Algérie, I^er^ siècle avant notre ère- VII^e^ après notre ère**, Archaeopress Archaeology**.

C- Thèses et notes de doctorat :

- Nora Yahiaoui. **Les Confins occidentaux de la Maurétanie Césarienne**, Sciences de l'Homme et Société, Ecole pratique des hautes études – EPHE, PARIS, 2003.

الهوامش:

---

[1] Touatia Amraoui, "L'artisanat dans les cités antiques de l'Algérie", Ier siècle avant notre ère- VIIe après notre ère, Archaeopress Archaeology, p 08.

[2] Nora Yahiaoui, Les Confins occidentaux de la Maurétanie Césarienne, Sciences de l'Homme et Société. Ecole pratique des hautes études – EPHE, PARIS, 2003. P 61.

[3] محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1999، ص 235.

[4] Jean Marcillet-Jaubert, Les inscriptions d'Altava, Publications des annales de la faculté des lettres, Aix-en-Provence, 1968, p 09.

[5] ستي صندوق، "المعسكرات السيفيرية في غرب موريطانيا القيصرية"، مجلة عصور الجديدة، المجلد 12، العدد 01، 2022، ص 70.

[6] محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص 236.

[7] نفسه.

[8] Nora Yahiaoui. Op-cit, p 62

[9] Ibid.

[10]Op-cit, p 89.

[11] LBIRNA 00478 = AE 1985, 00976 = BAA-1977/79-218
[12] Jean Marcillet-Jaubert, Op-cit, p 225.
[13] CIL 08, 21722 = IdAltava 00226.
[14] Jean Marcillet-Jaubert, Op-cit, p 25-26.
[15] CIL 08, 21720 = D 02607 (p 179) = IdAltava 00010 = AE 1891, 00005 = JDAI-2020-268,1.
[16]Jean Marcillet-Jaubert, Op-cit, p 150
[17] IdAltava 00235 = AE 1956, 00159 = JDAI-2020-268,2.
[18] Jean Marcillet-Jaubert, Op-cit, p151
[19] CIL 08, 09832 (p 2059) = D 03809 = IdAltava 00237 = GeA 00551.
[20] Jean Marcillet-Jaubert, Op-cit, p149
[21] CIL 08, 09831 = D 03257 = IdAltava 00234
[22] Jean Marcillet-Jaubert, Op-cit, p.47
[23] CIL 08, 09851 = IdAltava 00044
[24] Jean Marcillet-Jaubert, Op-cit, p 32.
[25] Jean Marcillet-Jaubert, Op-cit, p 33.
[26] IdAltava 00019 = Carletti-2008, 00199.
[27] Paul courtot, « Altava », Encyclopédie berbère, 1986, p 05.
[28] Jean Marcillet-Jaubert, op-cit, p 193-194
[29] CIL 08, 09888 = IdAltava 00322.
[30] فريدة عمروس، "عمارة الأضرحة الرومانية بالجزائر"، مجلة آثار، العدد 09، الرقم 01، ديسمبر 2011، ص 31.
[31] Paul Courtot, Une nécropole romaine d’Altava, B.S.G.A.O, 1934, pp. 351-359/ 1936, pp 8-12.
[32] IdAltava 00067 = LBIRNA 00705 = AE 1935, 00086.
[33] CIL 08, 09835 (p 975, 2059) = IdAltava 00194 = ILCV 00042 = ILCV +00800 = D 00859 (p 172) = BCTH-1982-153 = AE 1998, 01595
[34] Nora Yahiaoui. Op-cit, p 62
[35] Ibid.